فضل العرب على سائر بني آدم

علي الجباوي

أصل العرب وتصنيفاتهم

1. **العرب البائدة**: وهم اثنتا عشرة قبيلة على الأقل: عاد، وثمود (مقرهم في الحجر عند مدائن صالح)، وطسم (مقرهم بالشام)، وجديس وعملاق (هم العمورو بالشام)، وأميم وحضورا ووبار وعبيل (التي كانت لها حضارة هائلة جنوب حلب وقد اكتشفت هذه الحضارة من قبل علماء غربيين وسموها إيبلا لأنه ليس لديهم حرف العين). وجرهم الذين صاهرهم إسماعيل عليه السلام ومنهم تعلم اللغة العربية وأتقنها. العرب البائدة لم يبق لهم ذكر بسبب تغير أسمائهم، وقد أبيد بعضهم مثل عاد وثمود (إلا القلة المؤمنة منهم).

2. **العرب العاربة**: وأول من أطلق الناس عليهم لقب العرب هم قبيلة في بادية الشام شاركت في معركة قرقر. يُعتقد أنهم من بني قيدار بن إسماعيل (وليس من دليل صريح على هذا).

3. **العرب المستعربة**: وهم من لم يكن عربياً بالأصل لكن أخذ لغة العرب وثقافتهم، واعتبره الناس منهم.

فضل اللغة العربية

أن الله عز وجل قد أنزل كتابه بالعربية {**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**} (سُورَة يوسف: 2) والله أعلم بأي لسان يختاره لكتابه، وهو العليم الحكيم. ولو جعله الله بغير لغة لما فهمه الناس على الوجه الذي أراده ولا عقلوه كما قال عز وجل {**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ**} (سُورَة فصلت: 44).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية الدمشقي في كتابه القيم "اقتضاء الصراط المستقيم" (2 | 207): «وإنما الطريق الحسن: اعتياد الخطاب بالعربية، حتى يتلقنها الصغار في الدور والمكاتب، فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف. بخلاف من اعتاد لغة ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى، فإنه يصعب عليه. واعلم أن اعتياد اللغة، يؤثّر في العقل والخُلُق والدّين تأثيراً قوياً بيناً. ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين. ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق. وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب. فإن فهم الكتاب والسنة فرض. ولا يُفهم إلا بفهم اللغة العربية. وما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب. ثم منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية. وهذا معنى ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عيسى بن يونس عن ثور عن عمر بن يزيد قال كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري (ر): "أما بعد، فتفقهوا في السُّنة، وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن فإنه عربي". وفي حديث آخر عن عمر (ر) أنه قال: "تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم". وهذا الذي أمر به عمر (ر) من فقه العربية وفقه الشريعة، يجمع ما يُحتاج إليه. لأن الدين فيه فقه أقوال وأعمال. ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو الطريق إلى فقه أعماله».

ويقول: «وما ذكرنا من حكم اللسان العربي وأخلاق العرب، يثبت لمن كان كذلك وإن كان أصله فارسياً، وينتفي عمن لم يكن كذلك وإن كان أصله هاشمياً». وهذه قاعدة مهمة جداً، فالعبرة هي في تكلم اللغة العربية فقط، لا بمجرد النسب. وقد ذكر الحديث: «إنَّ الرب واحد، والأبُ واحد، والدَين واحد، وإنَّ العربيةَ ليست لأحدكم بأبٍ ولا أمّ، إنما هي لسانٌ، فمنْ تكلَّمَ بالعربيةِ فهو عربي»، ثم قال ابن تيمية: وهذا الحديث ضعيف، لكنَّ معناه ليس ببعيد. بل هوَ صحيح من بعض الوجوه. ولهذا كان المسلمون المتقدموَن لما سكنوَا أرض الشام ومصر ولغة أهلها رومية وقبطيةْ وَأرض العِرَاق وخُرُاسان ولغَة أهلها فارسية. وأرض المغرب ولغة أهلها بربرية، عَودوا أهلَ هذه البلاد العربيةَ حتى غلبت على أهل هذه الأمصار مسلمهم وكافرهم. وهكذا كانت خراسان قديماً ثم إنّهم تَساهلوَا في أمر اللُغةِ العربية، واعتادوا الخطابَ بالفارسيةِ حتى غلبت عليهم، وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم. وَلا ريب أنَّ هذا مكروه.

أقول: وإن تأملت حال العرب اليوم، لعرفت أن أكثرهم لا ينتسبون إلى القبائل التي كانت تسكن الجزيرة العربية عند مجيء الإسلام. فمثلاً لم يدخل مصر إلا بضعة آلاف عربي عند الفتح أيام عمر، وكان عدد الأقباط أربعة إلى سبعة ملايين. فهل البضعة آلاف تكاثروا حتى أصبحوا خمسين مليون مقابل أربعة إلى سبعة ملايين الذين تناقصوا إلى مليونين؟ كلا، بل أهل مصر الأقباط دخلوا الإسلام وتكلموا العربية فصاروا عرباً. وكذلك حال سكان شمال إفريقيا البربر، وسكان السودان الأفارقة، وسكان الأندلس اللاتين. ولذلك فإن العلماء يقولون أنه على قدر المعرفة بلغة العرب، تكون المعرفة بفضل القرآن.

فهذا ابن القيم يقول: «إنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب». وهذا ابن يتيمية يقول: «معلوم أن تعلم العربية وتعليمها فرض كفاية لأن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون». وفضل اللغة العربية هو من أهم أسباب فضل العرب، لأن العربي هو الذي يتكلم العربية. قال ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (15 | 431): «فغلب على العرب القوة العقلية النطقية، واشتق اسمُها من وصفها فقيل: عرب من الإعراب، وهو البيان والإظهار، وذلك خصوصاً القوة النطقية.. ولهذا كانت العرب أفضل الأمم».

ومما يراه علماء الفرس (أيام كانوا على الإسلام قبل الغزو الصفوي) من أن اللغة العربية أفضل اللغات وأكملها بالحياة والانتشار:

1. أبو حاتم الرازي (أحمد بن حمدان) (ت322هـ) صاحب كتاب "الزينة في الكلمات الإسلامية" عقد (1 | 60 - 66) فصلاً بعنوان: "فضل لغة العرب" ذكر فيه أن لغات البشر كثيرة لا يمكن حصرها، وأن أفضلها أربع: العربية، والعبرانية، والسريانية، والفارسية، وأن أفضل هذه الأربع لغة العرب، فهي أفصح اللغات وأكملها وأتمها وأعذبها وأبينها».

2. أبو الحسين أحمد بن فارس (ت395 هـ) قال في "الصاحبي" (ص16): "باب لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها"، مشيراً إلى قوله تعالى: {لتكونَ من المنذرينَ بلسان عربيٍّ مبين} (الشعراء: 195) وقال: «فلما خَصّ - جل ثناؤه - اللسانَ العربيّ بالبيانِ عُلِمَ أن سائر اللغات قاصرةٌ عنه، وواقعة دونه. فإن قال قائل: فقد يقع البيانُ بغير اللسان العربي، لأن كلَّ مَنْ أفْهَمَ بكلامه على شرط لغته فقد بَيَّنَ. قيل له: إن كنتَ تريد أن المتكلّم بغير اللغة العربية قد يُعْرِبُ عن نفسه حتى يُفْهِمَ السامعَ مرادَه فهذا أخسُ مراتب البيان، لأن الأبكم قد يدلُّ بإشارات وحركات له على أكثر مراده ثم لا يسمّى متكلماً، فضلاً عن أن يُسمّى بَيِّناً أو بليغاً. وإن أردت أنَّ سائر اللغات تُبَيّنُ إبانةَ اللغة العربية فهذا غَلط».

3. أبو منصور الثعالبي (ت430هـ) قال في كتابه "فقه اللغة وسر العربية" (ص21): «ومَنْ هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وأتاه حسن سريرة فيه اعتقد أنّ محمداً خيرُ الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال عليها وعلى تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم».

4. أبو القاسم محمود الزمخشري (ت538 هـ) قال في مقدمة كتابه "المفصل في علم العربية": «اللّهَ أحمدُ على أن جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية، وأبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز، وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وأنحاز، وعصمني من مذهبهم الذي لم يُجْدِ عليهم إلا الرشقَ بألسنةِ اللاعنينَ، والمَشْقَ بأسِنَّة الطاعنين».

ومما يراه كُتّاب الغرب عن اللغة العربية الفصحى:

1. قال كارلونلينو: «اللغة العربية تفوق سائر اللغات رونقاً وغنى، ويعجز اللسان عن وصف محاسنها».

2, قال فان ديك (الأمريكي): «العربية أكثر لغات الأرض امتيازاً، وهذا الامتياز من وجهين: الأول: من حيث ثروة معجمها. والثاني: من حيث استيعابها آدابها».

3. قال د. فرنباغ (الألماني): «ليست لغة العرب أغنى لغات العلم فحسب، بل إن الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العدّ، وإن اختلافنا عنهم في الزمان والسجايا والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألفوه، حجاباً لا يتبين ما وراءه إلاَّ بصعوبة».

4. قال فيلا سبازا: «اللغة العربية من أغنى لغات العالم، بل هي أرقى من لغات أوروبا لتضمنها كلَّ أدوات التعبير في أصولها في حين أن الفرنسية والإنجليزية والإيطالية وسواها قد تحدرت من لغات ميتة، ولا تزال حتى الآن تعالج رمم تلك اللغات لتأخذ من دمائها ما تحتاج إليه».

5. قال المستشرق الفرنسي الشهير أرنست رينان في معرض حديثه عن اللغة العربية في "الموسوعة المسيحية": «فهذه اللغة المجهولة التاريخ تبدو لنا فجأة بكل كمالها ومرونتها وثروتها التي لا تنتهي، لقد كانت هذه اللغة منذ بدايتها بدرجة من الكمال تدفعنا للقول بإيجاز: إنها منذ ذلك الوقت حتى العصر الحاضر لم تتعرض لأي تعديل ذي بال، فاللغة العربية لا طفولة لها، وليس لها شيخوخة أيضا، منذ ظهرت على الملأ، ومنذ انتصاراتها المعجزة، ولست أدري إذا كان يوجد مثل آخر للغة جاءت إلى الدنيا مثل هذه اللغة من غير مرحلة بدائية، ولا فترات انتقالية، ولا تجارب تتلمس فيها معالم الطريق».

6. يقول "فيشر": «إذا استثنينا الصين، لا يوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة كتب علوم لغته، وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها حسب أصول وقواعد، غير العرب». أقول: مع قِدَم اللغة الصينية فلا يمكن أبداً مقارنتها بلغة العرب لأنها مجرد كتابة بحيث كل كلمة لها صورة معينة وليست هناك أبجدية، وكل منطقة في الصين تلفظ تلك الكلمة بشكل مختلف تماماً، مع غياب معظم التفصيلات النحوية. فسكان الصين لا يمكنهم التفاهم بين بعضهم بالنطق، ولكن في الكتابة فقط!

ابن تيمية وفضل العرب

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: واسم العرب في الأصل كان اسمًا لقوم جمعوا ثلاثة أوصاف:

- أحدها: أن لسانهم كان اللغة العربية.
- الثاني: أنهم كانوا من أولاد العرب.
- الثالث: أن مساكنهم كانت أرض العرب، وهي: جزيرة العرب.

يشمل هذا المطلب فرعين:

الفرع الأول: العرب عامة

اعلم - يا رعاك الله - أن العرب رأس وأمة سائدة على جميع الأمم. قال النعمان بن المنذر لكسرى بحضرة الوفود: "**لا تُقارَن أمةٌ بالعرب إلا فضلتها العرب.**"

وجنس العرب مقدَّم على جنس العجم بإجماع المسلمين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "**الذي عليه أهل السنة والجماعة: اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم.**"

وقال أيضًا: "**العرب أفضل بني آدم كما صحَّ ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم.**"

وليس فضل العرب، ثم قريش، ثم بني هاشم، لمجرد كون النبي صلى الله عليه وسلم منهم - وإن كان هذا من الفضل - بل هم في أنفسهم أفضل، وبذلك يثبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أفضل نفسًا ونسبًا، وإلا لزم الدور.

وقال ابن تيمية رحمه الله:

"روى الترمذي (3608) أيضًا من حديث الثوري - وساق الإسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: (**إن الله خلق الخلق، فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين، فجعلني في خيرهم فرقةً**...) الحديث." قال الترمذي: "هذا حديث حسن." وقال ابن تيمية: "فالحديث صريح بتفضيل **العرب** على غيرهم."

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: "**نُفضِّلكم يا معشرَ العرب لتفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم.**" رواه البزار، ولفظ سعيد بن منصور: "**إن الله عز وجل قد فضَّلكم علينا يا معشر العرب.**"

قال ابن تيمية - رحمه الله - فيما ورد من النقل في فضل العرب:

وسبب هذا الفضل - والله أعلم - ما اختصوا به في **عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم**؛ وذلك أن الفضل: إما بالعلم النافع، وإما بالعمل الصالح. والعلم له مبدأ؛ وهو قوة العقل الذي هو الفهم والحفظ، وتمام؛ وهو: قوة المنطق، الذي هو البيان والعبارة.
"**والعرب هم أفهم من غيرهم، وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة.**"

ثم قال:
"**وأما العمل، فإن مبناه على الأخلاق، وهي الغرائز المخلوقة في النفس، وغرائزهم أطوعُ للخير من غيرهم، فهم أقرب للسخاء والحلم والشجاعة والوفاء، وغير ذلك من الأخلاق المحمودة.**"

ولكنهم - كما وصف - كانوا قبل الإسلام "طبيعة قابلة للخير، معطلةً عن فعله...
فلما بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهدى...
أخذوا هذا الهدى العظيم بتلك الفطرة الجيدة، فاجتمع
لهم الكمال بالقوة المخلوقة فيهم، والكمال الذي أنزل الله إليهم."

وأكمل ابن تيمية بقوله:
"وهذه الخاصيَّة جعلتهم أقربَ الناس لفهم الكتاب والسنة، وأعرفَ الناس بمراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم."

وأشار إلى أن غير العرب قد يخطئون في فهم النصوص بسبب العجمة، فقال الحسن:"**أهلكَتْهم العجمةُ؛ يتأوَّلون القرآن على غير تأويله.**"

وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية - رحمه الله - في (اقتضاء الصراط المستقيم) (1: 419): فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة: اعتقاد أن **جنس العرب أفضل من جنس العجم، عبرانيهم وسريانيهم، روميهم وفرسيهم وغيرهم**. ثم قال في (1: 420): وأن **قريشاً** أفضل العرب، وأن **بني هاشم** أفضل قريش، وأن **رسول الله**، أفضل بني هاشم فهو أفضل الخلق نفساً، وأفضلهم نسباً. وليس فضل العرب ثم قريش ثم بني هاشم لمجرد كون النبي، منهم، وإن كان هذا من الفضل. بل هم في أنفسهم أفضل، وبذلك يثبت لرسول الله، أنه أفضل نفساً ونسباً، وإلاَّ لزم الدور.

محبة العرب في مذهب أهل السنة

قال أبو محمد حرب بن إسماعيل الكرماني - صاحب الإمام أحمد - في وصفه للسنة:

"هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المعروفين بها، المقتدَى بهم فيها، وأدركت من أدركتُ من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها. فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها، أو عاب قائلَها، فهو مبتدع خارج من الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق."

ثم قال:
"وهو مذهب أحمد، وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد، وعبدالله بن الزبير، والحميدي، وسعيد بن منصور، وغيرهم ممن جالسنا، وأخذنا عنهم العلم. وكان من قولهم: إن الإيمان قول وعمل ونية..."

وساق كلامًا طويلًا، ثم قال:
"ونعرف للعرب حقَّها وفضلها وسابقتها، ونُحبُّهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**حب العرب إيمان، وبُغضهم نفاق**).

أكد أبو محمد حرب الكرماني في وصفه للسنة أن من أصول أهل السنة والجماعة:

1. محبة العرب والاعتراف بفضلهم: "ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالي الذين لا يُحبون العرب، ولا يقرون بفضلهم، فإن قولهم بدعة وخلاف."
2. اتباع مذهب العلماء الأوائل: نسب إلى الإمام أحمد وغيره من أئمة العلم تأكيد هذا المعنى، حيث قال: "ويُروَى هذا الكلام عن أحمد نفسه في رسالة أحمد بن سعيد الأصطخري عنه - إن صحت - وهو قوله، وقول عامة أهل العلم."

فضل العرب في اللغة والعقل والأخلاق

قال الإمام الشافعي رحمه الله: "**ما جهِل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس.**"

وقال السيوطي رحمه الله: "**وقد وجدت السلفَ قبل الشافعي أشاروا إلى ما أشار إليه من أن سبب الابتداع الجهل بلسان العرب.**"

وروي عن ابن أبي مُلَيْكةَ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر:
"**ألا يقرأ القرآن إلا عالمٌ باللغة، وأمر أبا الأسود فوضع النحو.**"

الخصائص العقلية والأخلاقية للعرب:
قال الشيخ مرعي بن يوسف: "**وأما العقل الدال على فضل العرب، فقد ثبت بالتواتر المحسوس المشاهد أن العرب أكثر الناس سخاءً وكرمًا، وشجاعةً ومروءةً، وشهامةً، وبلاغةً وفصاحةً.**"

وأضاف:
"**لسانهم أتم الألسنة بيانًا وتمييزًا للمعاني جمعًا وفرقًا**، بجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل إذا شاء المتكلم الجمع، ويميز بين كل لفظين مشتبهين بلفظ آخر مختصر، إلى غير ذلك من خصائص اللسان العربي. ومَن كان كذلك، فالعقل قاضٍ بفضله قطعًا على مَن ليس كذلك، ولهم مكارم أخلاق محمودة لا تنحصر، غريزة في أنفسهم، وسجيَّة لهم جُبلوا عليها."

حفظ الأنساب والطهارة الأخلاقية:
قال ابن فارس: "**وللعرب حفظ الأنساب، وما يُعلَمُ أحدٌ من الأمم عُني بحفظ النسب عناية العرب**...، إلى أن قال: ومما خص الله جل ثناؤه به العرب، طهارتُهم ونزاهتُهم عن الأدناس التي استباحها غيرهم من مخالطةِ ذواتِ المحارم، وهي مَنقبَةٌ تعلو بجمالها كل مأثرة، والحمد لله."

شهادة ابن خلدون على تميز العرب:
قال ابن خلدون في وصف العرب: "**فألوانهم أصفى، وأبدانهم أنقى، وأشكالهم أتمُّ وأحسنُ، وأخلاقهم أبعدُ من الانحراف، وأذهانهم أثقبُ في المعارف والإدراكات.** هذا أمر تشهد له التجربة في كل جيل منهم."

فضل اختيار الله للعرب لحمل رسالة الإسلام

قال محمد الطاهر بن عاشور - كلامًا رصينًا:
اختار الله تعالى للإرسال بهذه الشريعة رسولًا من الأمة العربية...، ولله تعالى حِكَمٌ جمَّة في أن اختار لهذه الرسالة رجلًا عربيًّا ...، وقد قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124].

وأضاف: فالعرب هم حمَلَة شريعة الإسلام إلى سائر المخاطبين بها، وهم من جملتهم، واختارهم الله لهذه الأمانة؛ لأنهم يومئذٍ قد امتازوا من بين سائر الأمم باجتماع صفات أربعٍ لم تجتمع في التاريخ لأمة من الأمم؛ وتلك هي:

1. جودة الأذهان.
2. وقوة الحوافظ.
3. وبساطة الحضارة والتشريع.
4. والبعد عن الاختلاط ببقية أمم العالم.

فهم بالوصف الأول أهلٌ لفهم الدين وتلقِّيه، وبالوصف الثاني أهلٌ لحفظه وعدم الاضطراب في تلقيه، وبالوصف الثالث أهلٌ لسرعة التخلُّقِ به؛ إذ هم أقرب إلى الفطرة السليمة ولم يكونوا على شريعة معتَدٍّ بها متماثلة حتى يصمِّمُوا على نصرها، وبالوصف الرابع أهلٌ لمعاشرة الأمم؛ إذ لا حزازات بينهم وبين الأمم الأخرى.

خصائص العرب التي أهلتهم لحمل الرسالة الإسلامية

قال محمد رشيد رضا: "كانت العرب ممتازة باستقلال الفكر وسَعَة الحرية الشخصية...، كانت العرب ممتازة باستقلال الإرادة في جميع الأعمال...، كانت العرب ممتازة بعزة النفس، وشدة البأس، وقوة الأبدان، وجرأة الجنان...، كانت العرب ممتازة بالذكاء واللوذعية، وكثير من الفضائل الموروثة والكسبية...، كانت العرب قد بلغت أوجَ الكمال في فصاحة اللسان وبلاغة المقال..."

وأضاف: "فتلك كبريات مزايا الأمة العربية التي أعدَّها الله تعالى بها للبعثة المحمدية والسيادة الدينية والمدنية...، وجملة مزاياهم أنهم كانوا أسلم الناس فطرة - على كون أمم الحضارة كانت أرقى منهم في كل فنٍّ وصناعة - والإصلاح الإسلامي مبنيٌّ على تقديم إصلاح الأنفس باستقلال العقل والإرادة، وتهذيب الأخلاق، وحرية الوجدان على إصلاح ما في الأرض من معدن ونبات وحيوان."

ثم ختم بقوله: "وبهذا كان الله تعالى يُعدُّ هذه الأمة للإصلاح العظيم، الذي جاء به محمد عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم."

وقال أبو الحسن الندوي في كتابه العرب والإسلام: "اختار الله العرب للإسلام لخصائص طبيعية ومزايا خلقية ينفردون بها."

وأضاف: "أعتقد أن طبيعة العرب اختمرت مع الدين الإسلامي، وامتزجت امتزاجًا لا يسهل فصلهم وتجريدهم عنه."

وقال الشيخ بكر أبو زيد: "العرب قوم شِرافٌ، يَزِنون الحياة بغير ما تَزِنُها به أمم البطون والفروج، وموازينهم في الحياة تدور على قطب واحد وهو: المحمدة والذكر الحسن."

وتابع: "ولفاضلِ مزاياهم ظهر الإسلام فيهم، واصطفى الله نبيه ورسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم منهم، فكانت النبوة من أصلابهم، وترشَّحوا حَمَلة نشر الرسالة الأولى، وصار اعتقاد فضلهم على غيرهم من أصول الاعتقاد في الإسلام."

خصائص العرب ومكانتهم بين الأمم

ورد في كتاب أم القرى (ص 218 - 222) ونُقل بتصرف في مجلة المنار (5/861 - 862)، وساقه الشيخ بكر أبو زيد باختصار في خصائص جزيرة العرب (ص 63 - 65)، ما يلي:

1. غنى اللغة العربية

العرب عمومًا لغتهم أغنى لغات المسلمين في المعارف، وقد صِيْنت بفضل القرآن الكريم من أن تندثر أو تموت.

2. اللغة الجامعة

اللغة العربية هي اللغة العمومية بين كافة المسلمين، الذين كانوا يبلغون (300 مليون) في وقت النص [وعددهم الآن أضعاف ذلك].

3. اللغة الخصوصية

اللغة العربية أيضًا هي اللغة الخصوصية لمائة مليون مسلم وغير مسلم.

4. التساوي في الحقوق

العرب أقدم الأمم في اتباع أصول تساوي الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية.

5. الشورى في الإدارة

العرب أعرق الأمم في تطبيق أصول الشورى في الشؤون العامة.

6. الهدى في المعيشة

العرب أهدى الأمم لأصول المعيشة القويمة والبسيطة.

7. احترام العهود والذمم

العرب من أحرص الأمم على احترام العهود بدافع من:

- عزة النفس.
- الإنسانية في احترام الذمة.
- الشهامة في احترام الجوار.
- المروءة في بذل المعروف.

8. مرجعية العرب في الدين

العرب أنسب الأقوام ليكونوا مرجعًا في الدين وقدوة للمسلمين، لأن الأقوام الأخرى قد اتبعت هَدْي العرب في بداية الإسلام، ولن تجد حرجًا في الاستمرار على هذا النهج.

العرب وعلاقتهم بالإيمان

قال مقيده - عفا الله عنه: هذا موضوع واسع لا يمكن استقصاؤه بسهولة، لكن يكفي أن نشير إلى هذه الحقيقة المهمة: أن حب العرب والإيمان المطلق، وربما مطلق الإيمان، مقترنان ببعضهما؛ فإن نقص أحدهما، تبعه الآخر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - في سياق ذكر أحاديث تدل على أن حب العرب من الإيمان وبُغضهم من الكفر: "جعل النبي صلى الله عليه وسلم بُغض العرب سببًا لفراق الدين، وجعل بُغضهم مقتضيًا لبغضه...، وهذا دليل على أن بغض جنس العرب ومعاداتهم كفر أو سبب للكفر، ومقتضاه: أنهم أفضل مِن غيرهم، وأن محبتهم سبب قوة الإيمان."

قال المناويُّ: "إذا أحبهم إنسان - يعني العرب - كان حبهم آيةَ إيمانه، وإذا أبغضهم كان بغضهم علامةَ نفاقه؛ لأن هذا الدين نشأ منهم، وكان قيامه بسيوفهم وهممهم، والظاهر مِن حال مَن أبغضهم أنه إنما أبغضهم لذلك، وهو كفر."

منزلة العرب في الإسلام

القرآن نزل بلسان العرب: يعد نزول القرآن الكريم باللغة العربية أعظم ميزة للعرب، وروي أيضًا أن كلام أهل الجنة سيكون باللغة العربية.

النبي محمد صلى الله عليه وسلم من العرب

قال ابن عباس رضي الله عنه: "ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم مُضَريها ورَبِيعيها ويَمانيها."

وقال القاضي عياض: "لم تكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة."

الخلافة والإمامة في العرب:

الخلافة الإسلامية والإمامة كانت دائمًا في العرب، وهي من أعظم شرفهم وخصائصهم.

قال جَرير مفتخرًا على الأخطل النصراني:

إن الَّذي حَرَمَ المكارِمَ تغلبًا ♦♦♦ جعَلَ النُّبوَّةَ والخِلافَةَ فِينَا

صفات العرب ومسؤوليتهم في حمل الرسالة

قال ذو الرمَّة: **نبيُّ الُهدَى منَّا وكلُّ خَلِيفةٍ ♦♦♦ فهَلْ مِثْلُ هَذا فِي البَرِيَّةِ مَفْخَرُ**

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**إن أقرب الخَلق من لوائي يومئذٍ العرب**" [أخرجه الطبراني].

عن علي بن المديني رواية أن الطائفة المنصورة هم العرب، واستدل بحديث:
"**لا يَزالُ أهلُ الغَرْبِ ظاهرينَ على الحقِّ حتى تقوم الساعة**" [رواه مسلم].
قال: والمراد بالغرب الدلو؛ أي العرب؛ لأنهم أصحابها لا يَستَقي بها أحدٌ غيرهم، كما ذكر يعقوب بن شيبة، ونقله عنه صاحب "المشارق" وغيره.

بما تقدم، يتضح أن العرب متميزون بصفات شريفة ونبيلة تجعلهم قادة للإصلاح وحملة دعوة الله جل وعلا. قال النبي صلى الله عليه وسلم:"**والله يا معشر العرب، لئن لم تقوموا بما جاء به نبيُّكم صلى الله عليه وسلم لَغيرُكم من الناس أحرى أن لا يقوم به.**"

التواضع مع الفخر بالانتماء

رغم شرف النسب، كان العلماء العرب أهل تواضع. قال يحيى بن معين عن الإمام أحمد بن حنبل: "**ما افتَخَر علينا بالعربية ولا ذكَرها.**"
وقال محمد بن الفضل:
"**قلت للإمام أحمد: يا أبا عبدالله، بلغني أنك من العرب. فقال: يا أبا النعمان، نحن قوم مساكين.**"
وكان أحمد بن حنبل من بني شيبان، من بكر بن وائل، القبيلة الشهيرة. ورغم ذلك، لم يفتخر بعِرْقه، بل كان متواضعًا، مما يبرز القدوة الحسنة للعرب.

في ختام هذا السياق، نذكر مقولة سلمان الفارسي رضي الله عنه:
أَبِي الإسلامُ لا أبَ لي سِواهُ ♦♦♦ إذا افتَخَروا بقيسٍ أو تَميمِ.

فضل العرب في أحاديث النبي ﷺ

مكانة العرب واختيارهم:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"خلق الله الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشًا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار إلى خيار. فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم." [رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم]

الخيرة في العرب وقريش:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"إن الله حين خلق الخلق بعث جبريل فقسم الناس قسمين، فقسم العرب قسما وقسم العجم قسما، وكانت خيرة الله في العرب، ثم قسم العرب قسمين، فقسم اليمن قسما وقسم مضر قسما وقريشا قسما، وكانت خيرة الله في قريش، ثم أخرجني من خير من أنا منه." [رواه الطبراني وحسن إسناده الحافظ العراقي]

الاصطفاء من بني هاشم:

عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى من بني كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم." [رواه مسلم والترمذي وصححه]

الاختيار النبوي:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"لما خلق الله الخلق اختار العرب، ثم اختار من العرب قريشًا، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختارني من بني هاشم، فأنا خيرة من خيرة." [رواه الحاكم وصححه]

محبة العرب من محبة النبي صلى الله عليه وسلم:
عن أنس رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"من أحب العرب فقد أحبني، ومن أبغض العرب فقد أبغضني." [رواه الطبراني].

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"من أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم." [رواه الحاكم].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي."
[رواه الطبراني والحاكم]

التحذير من بغض العرب:
عن سلمان رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"يا سلمان، لا تبغضني فتفارق دينك." قلت: يا رسول الله، كيف أبغضك وبك هداني الله؟ قال: "تبغض العرب فتبغضني." [رواه الترمذي وقال حسن غريب]

بغض العرب علامة على النفاق:
عن علي رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"لا يبغض العرب إلا منافق." [رواه الطبراني]

فضل قريش وعلاقتها بالإيمان:
عن أنس رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"حب قريش إيمان، وبغضهم كفر." [رواه الطبراني]

قريش في قيادة الأمة:
عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم."
[رواه الشيخان]

16603 - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: " والذي نفسي بيده، ما أنزل الله وحيا قط على نبي بينه وبينه إلا بالعربية، ثم يكون هو بعد يبلغه قومه بلسانه ". [رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سليمان بن أرقم، وهو ضعيف]

3132143- أول من أشفع له يوم القيامة من أمتي أهل بيتي ثم (ص: 314) الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم من آمن بي واتبعني من اليمن ثم من سائر العرب ثم الأعاجم ومن أشفع له أولا أفضل (طب) عن ابن عمر.
[ضعيف الجامع الصغير وزيادته ناصر الدين الألباني]

واتى ايضا عن ... عن ابن عمر (ر)، قال، قال رسول الله (ص): أول من اشفع له يوم القيامة من أمتي أهل بيتي، ثم الأقرب فالأقرب ثم الأنصار، ثم من آمن بي واتبعني من أهل اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم [أخرجه صاحب كتاب الفردوس]

3175 - حدثنا علي بن عبد الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبيد الله قال حدثني سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قيل

يا رسول الله من أكرم الناس قال أتقاهم فقالوا ليس عن هذا نسألك قال فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألون خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا

قال أبو أسامة ومعتمر عن عبيد الله عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم [صحيح البخاري, صحيح - متفق عليه]

ما من فرسٍ عربيٍّ إلا يُؤذَنُ له عند كلِّ سَحَرٍ بكلماتٍ يدعو بهنَّ: اللهم خوَّلْتَني مَن خوَّلْتَني من بني آدمَ، وجعلتَني له، فاجعَلْني أحبَّ أهلِه ومالِه، أو من أحبِّ أهلِه ومالِه إليه. [المحدث: الألباني, صحيح]

عَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(يَا سَلْمَانُ! لاَ تَبْغَضْنِي فَتُفَارِقَ دِينَكَ.)
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ أَبْغَضُكَ وَبِكَ هَدَانَا اللَّهُ؟
قَالَ: (تَبْغَضُ العَرَبَ فَتَبْغَضُنِي).

هذا الحديث رواه الترمذي (رقم/3927)، والبزار في "مسنده" (2513) والطبراني في "المعجم الكبير" (6/238)، والحاكم في "المستدرك" (4/86) وغيرهم من طريق أبو بدر شجاع بن الوليد، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن سلمان.]

وهذا إسناد ضعيف وقال الشيخ الألباني رحمه الله: "ضعيف الإسناد" انتهى.
"السلسلة الضعيفة" (رقم/2029)

ضعف هذا الحديث لا يعني عدم ثبوت أي فضل لجنس العرب، فقد وردت أحاديث كثيرة في هذا الباب، القليل منها صحيح، والكثير منها ضعيف أو موضوع.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وفي المسألة آثار غير ما ذكرته، في بعضها نظر، وبعضها موضوع" انتهى.
اقتضاء الصراط المستقيم (ص/159)

ويقول أيضا رحمه الله معلقا على هذا الحديث:

"فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم بغض العرب سببا لفراق الدين، وجعل بغضهم مقتضيا لبغضه."

والله أعلم.

عن معاوية رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"**إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين.**"
[رواه البخاري]

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"**من يرد هوان قريش أهانه الله.**" [رواه الترمذي وحسنه]

عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"**لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله.**"
[رواه الإمام أحمد، وصحح العراقي إسناده]

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"**التمسوا الأمانة في قريش، فإن الأمين في قريش له فضلان على أمين من سواهم، وإن قوي قريش له فضلان على قوي من سواهم.**"
[رواه الطبراني وأبو يعلى، وحسن الهيثمي إسناده]

عن عبد الله بن الحارث الزبيدي رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"**العلم في قريش، والأمانة في الأزد.**" [رواه الطبراني، وحسن الهيثمي إسناده]

وعن رفاعة بن رافع رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إن قريشا أهل أمانة، فمن بغى لهم العواثر أكبه الله على منخريه" قالها ثلاثا.**
[رواه البزار ورجاله ثقات]

وعن قتادة بن النعمان رضي الله تعالى عنه أنه وقع بقريش فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يا قتادة لا تسبن قريشا فإنه لعلك أن ترى منهم رجالا تزدري عملك مع أعمالهم وفعلك مع أفعالهم وتغبطهم إذا رأيتهم، لولا أن تطغى قريش لأخبرتهم الذي لهم عند الله**". [رواه الإمام أحمد والطبراني والبزار، وصحح العراقي إسناده]

وفي لفظ: إن أبا قتادة الأنصاري السلمي قال لخالد بن الوليد يوم فتح مكة: هذا يوم يذل الله فيه قريشا. فقال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا تسمع ما يقول أبو قتادة يا رسول الله؟ فقال: "**مهلا يا أبا قتادة إنك لو وزنت حلمك مع حلومهم لتحاقرت حلمك مع حلومهم، ولو وزنت رأيك مع رأيهم لتحاقرت رأيك مع رأيهم، ولو وزنت فعالك مع فعالهم لتحاقرت فعلك مع فعالهم، لا تعلموا قريشا وتعلموا منهم، فلولا أن تبطر قريش لأخبرتهم بما لهم عند رب العالمين**". [رواه البيهقي في المدخل]

وعن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يا أيها الناس لا تقدموا قريشا فتهلكوا ولا تتخلفوا عنها فتضلوا ولا تعلموها وتعلموا منها، فإنها أعلم منكم، لولا أن تبطر قريش لأخبرتهم بالذي لها عند الله**". [رواه البيهقي في المدخل وحسن العراقي إسناده]

وعن أم هانئ رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**فضل الله قريشا بسبع خصال لم يعطها أحدا قبلهم ولا يعطيها أحدا بعدهم: فضل الله قريشا بأني منهم، وأن النبوة فيهم، وأن الحجابة فيهم وأن السقاية فيهم ونصرهم على الفيل، وعبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم، وأنزل فيهم سورة من القرآن لم تنزل في أحد من غيرهم**". [رواه الطبراني وحسن العراقي إسناده]

من قال إذا أصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كان له عدل **رقبة من ولد إسماعيل**، وكتب له عشر حسنات وحط عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي، وإن قالها إذا أمسى كان له مثل ذلك حتى يصبح. [رواه أبو داود وصححه الألباني]

لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير بعد ما يصلي الغداة عشر مرات كتب الله عز وجل له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكن له بعدل عتق **رقبتين من ولد إسماعيل**، فإن قالها حين يمسي كان له مثل ذلك وكن له حجابا من الشيطان حتى يصبح. أخرجه الخطيب، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

وفي الصحيحين - واللفظ له - عن أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ **أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ**). [روى البخاري (6404)، ومسلم (2693)]

ورد في الأحاديث ذكر قول: "رقبة/نَفْسٍ من ولد إسماعيل" هذا التحديد له دلالة دينية؛ فقد يعتبر ولد إسماعيل من أشرف الأنساب وأعلى المقامات في المجتمع، مما يرفع قيمة هذا الفضل.

أن الدين الإسلامي لا يفرق بين الناس على أساس العرق أو النسب فحسب، بل يركز بشكل أكبر وأهم على أساس الإيمان والتقوى. قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [سورة الحجرات: 13]. فرغم مكانة ولد إسماعيل، فإن الأجر مفتوح لكل مسلم يواظب على الذكر ويخلص النية. كما أن هذا يذكرنا بمفهوم المساواة في الإسلام، حيث لا يرفع النسب الإنسان عند الله إن لم يقترن بالإيمان والعمل الصالح، كما كان حال أبي لهب الذي لم ينفعه نسبه من النبي صلى الله عليه وسلم. لذلك، التفاضل الحقيقي يكون بالتقوى والعمل الصالح فقط.

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) **ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (34) [سورة آل عمران: 33-34]. ومع ذلك، فإن النسب الشريف لا يغني عن الإيمان، كما يظهر في قصة أبي لهب الذي كان من أقرباء النبي صلى الله عليه وسلم لكنه كان كافرًا. ختامًا، إن التفاضل بين الناس لا يكون بالنسب أو العرق، بل بالإيمان والتقوى. فقد رفع الله سلمان الفارسي وبلال الحبشي بالإسلام، وجعلهم من أعظم الصحابة. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

علامات اقتراب الساعة وهلاك العرب

عن طلحة بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من اقتراب الساعة هلاك العرب».

[رواه: ابن أبي شيبة، والترمذي في "جامعه"، والبخاري في "التاريخ"، والحارس بن أبي أسامة، والطبراني، وابن عبد البر، وغيرهم. وقال الترمذي: "هذا حديث غريب"]

أما ما جاء في أول العرب هلاكا، عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: "أول العرب هلاكا قريش وربيعة". قالوا: وكيف؟ قال: "أما قريش؛ فيهلكها الملك، وأما ربيعة؛ فتهلكها الحمية". [رواه ابن أبي شيبة]

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أول الناس هلاكا قريش، وأول قريش هلاكا أهل بيتي». [رواه الطبراني]

عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِنَّ، قَالَتِ: اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَوْمٍ مُحَمَّرًا وَجْهَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: «لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يُرَدِّدُهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ».

وَعَقَدَ عَشْرًا، قَالَتْ زَيْنَبُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَنْهَلَكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ, إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ».

هذا حديث خطير وعجيب فقد اختص رسول ﷺ هذه النبوءة بالعرب كجنس بشري ولم يقل ويل للمسلمين بل للعرب تحديداً والعرب في زمانه كانوا عرب الجزيرة فقط دون سواهم وقد فسّر ﷺ سبب الهلاك بقوله (اذا كثر الخبث) والخبث هو المعاصي والشرور والفساد الاخلاقي لدى العرب، وغياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال النبي ﷺ: (إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقابه.)

والمتأمل لحال العرب هذه الأيام، يجد أن الخبث قد بلغ ذروته تقريباً، وهذا بحد ذاته نذير شؤم بقرب تحقق نبوءة النبي بهلاك العرب ونزول عقاب الله عليهم.

وفي صحيح مسلم وغيره من حديث المستورد بن شداد ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تقوم الساعة والروم أكثر الناس.

وهذا يفيد قلة العرب بالنسبة إليهم، ولذا قال المناوي: تقوم السَّاعَة ـ أَي الْقِيَامَة ـ وَالروم أَكثر النَّاس ـ وَمن عداهم من الْعَرَب وَغَيرهم بِالنِّسْبَةِ اليهم قَلِيل. انتهى.

وقد قال عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ للمستورد حين حدث بهذا الحديث: أبصر ما تقول، قال: أقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالا أربعا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك.

قال ابن كثير: وهذا يدل على أن الروم يسلمون في آخر الزمان. انتهى. والله أعلم.

3143 - اللهمَّ لَا يُدْرِكنِي زَمانٌ وَلَا تدْرِكُوا زَماناً لَا يُتَّبَعُ فِيهِ العَلِيمُ وَلَا يُسْتَحْيَا فِيهِ منَ الحَلِيمِ قُلوبُهُمْ قُلوبُ الأعاجِمِ وَألْسِنَتُهُمْ ألْسِنَةُ العَرَبِ
(حم) عَن سهل بن سعد (ك) عن أبي هريرة.

[حكم الألباني (ضعيف) انظر حديث رقم: 1218 في ضعيف الجامع]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليأتين على الناس زمان قلوبهم قلوب الأعاجم". قيل: وما قلوب الأعاجم؟ قال: "حب الدنيا. سنتهم سنة العرب، ما آتاهم الله من رزق جعلوه في الحيوان، يرون الجهاد ضرارًا، والصدقة مغرمًا».

هذا الحديث رواه الحارث موقوفًا، وأبويعلى مرفوعًا بسند فيه ابن لهيعة، كما قال البوصيري في (إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة).

وعزاه صهيب عبد الجبار في (الجامع الصحيح للسنن والمسانيد) للطبراني في الكبير (13 / 36 / 82) والحارث (289) وقال: الحيوان مبالغة في الحياة، كما قيل للموت الكثير موتان (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير 3 / 6) وقوله (مغرما) أي: يشق عليهم أداؤها، بحيث يعدون إخراجها غرامة يغرمونها ومصيبة يصابونها اهـ من (فيض القدير 1 / 525) اهـ.

[وحسنه الألباني في (السلسلة الصحيحة 3357)]

وقال المناوي في شرح حديث آخر: (قلوب الأعاجم) أي قلوبهم بعيدة من الخلاق مملوءة من الرياء والنفاق (وألسنتهم ألسنة العرب) متشدقون متفصحون متفيهقون يتلونون في المذاهب ويروغون كالثعالب، قال الأحنف: لأن أبتلى بألف جموح لجوج أحب إلي من ابتلى بمتلون. انتهى.

والله أعلم.

الحمد لله الذي خلقنا من نفس واحدة، وجعلنا شعوبًا وقبائل لنتعارف، لا لنتفاخر بالأحساب والأنساب، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد بن عبد الله، الذي علَّمنا أن قيمة الإنسان في تقواه وعمله، لا في نسبه ومكانته.

النسب من الأمور التي قدَّرها الله في عباده وشرَّف بها بعض الخلق، كما في اختيار الأنبياء والرسل من نسلٍ كريم. وقد قال الله تعالى: ولقد كرمنا بني آدمَ وحملناهُم فِي البرِ والبِحْرِ ورَزَقنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وفَضَّلنَاهُم عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقنَا تَفْضِيلًا.
[سورة الإسراء: 70]

جاءت نصوص كثيرة تنهى عن التفاخر بالنسب وتحذِّر من اعتباره معيارًا للتفاضل بين الناس. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنْ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ" (رواه مسلم).
كما قال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ" (رواه الترمذي وأحمد).

وقال صلى الله عليه وسلم: "أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ" (رواه مسلم).

بيَّن الإسلام أن شرف الإنسان إنما يكون في تقواه وعمله الصالح، لا في نسبه أو أصله. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ" (رواه مسلم). وقال أيضًا: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ" (رواه مسلم).

اختيار الله لبعض الأنساب: تكريم لا تفاخر

مع أن الله اختار بعض الأنساب وشرَّفها، مثل نسب النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن هذا الاختيار لا يعني التفاخر أو الترفع على الناس. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى بَنِي هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ" (رواه مسلم). وقد عبَّر الشعراء عن ذلك، فقال أحدهم:

إذا افتخرتَ بأقوامٍ لهم شرفٌ ♦♦♦ قُلنا صدقتَ ولكن بئسَ ما وَلَدوا

خاتمة

إن الإسلام يدعو إلى العدل والمساواة، ويجعل التفاضل بين الناس بالتقوى والعمل الصالح. قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [سورة الحجرات: 13]. ومن هنا، فإن النسب تكريم من الله وليس وسيلة للتفاخر أو الترفع على الآخرين. والله أعلم.

فضل العرب على سائر بني آدم

يستعرض هذا الكتاب مكانة العرب في الإسلام من خلال النصوص الشرعية وآراء العلماء التي تناولت فضلهم وما أكرمهم الله به، من اصطفاء نسب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومنزلة لغتهم التي كانت وعاءً للوحي السماوي ومفتاحًا لفهم القرآن الكريم والسنة النبوية.

"وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ"

[القصص: 68]

في الوقت ذاته، يبرز الكتاب التحذير النبوي من الفخر المذموم الذي ينافي تعاليم الإسلام في العدل والمساواة. فهو دعوة للتأمل في قيمة التقوى والعمل الصالح كمقياس حقيقي لتكريم الإنسان، بعيدًا عن العصبية أو الجاهلية.

هذا الكتاب أُلِّفَ بيد العبد الفقير لله، علي الجباوي